جامعة عبد الرحمن ميرة
كلية الآداب والعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

السنة الأولى، المجموعة 01

محاضرة رقم 04 **البلاغة العربية** **الأستاذة: عزي نعيمة**

علوم البلاغة العربية

تمهيد:

يُطلق اسم أقسام البلاغة في اللغة العربية على علوم البلاغة الثلاثة : علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع، وإنّ فريقًا من الدّارسين لعلوم البلاغة يُطلقون اسم **علم البيان** على علوم البلاغة عامّة، وبعضهم يسمّيها علم البديع، وإنّ فريقًا من العلماء المشتغلين بالبلاغة يسمّون العلم الذي يُحتَرَزُ به عن الخطأ في تأدية المعنى علم المعاني، ويُطلِقُ فريقٌ آخرُ اسم علم البيان على البيان والبديع معًا، وهذا التقسيم والتفريع لعلوم البلاغة جاء بعد جهود علماء كُثُر بدؤوا بالتّأليف البلاغي، وكان هدفهم الأوّل من وراء ذلك هو خدمة القرآن الكريم، والذّود عنه وعن بلاغته.

والبلاغة كما أشرنا سابقا هي حسن البيان وقوة التأثير، وهي عند علماء البلاغة :علم تدرس فيه وجوه حسن البيان، ومن هنا، فإن علوم البلاغة لعبت دوراً كبيراً في تاريخ العرب من حيث تخليد البلغاء وضربهم للناس أمثلة يحتذون بها، ورفع شأن المتكلم أو الخطيب أو الشاعر بحسب قربه أو التصاقه بقواعد البلاغة وقوانينها .

يقول صديق بن حسن القنّوجي في كتابه (أبجد العلوم): علم البلاغة عبارة عن علم البيان والبديع والمعاني، والغرض من تلك العلوم: أن البلاغة سواء كانت في الكلام أو المتكلم رجوعها إلى أمرين :

أحدهما: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ..

والثاني: تمييز الفصيح عن غيره .

البلاغة.. والبيان .. والبديع :

لاشك أن البلاغة ذات علاقة وثيقة بعلوم متن اللغة والنحو والصرف فتلك علوم عربية أوضح ماتكون للمتأمل، ولكن علوم البلاغة إنما اختصت بجانب آخر وهو جانب الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعني المراد، ومن هنا نشأ علم المعاني، وكذلك الاحتراز عن التعقيد المعنوي . ومن هنا نشأ علم البيان ، وإلى المحسنات اللفظية ومن هنا نشأ علم البديع .

ولنتناول كل واحد من تلك العلوم على حدة.

علم المعاني

علم المعاني أحد العلوم التي تشكّل أقسام البلاغة في اللغة العربية، ومن تعريفاته أنّه علمٌ تُعرَفُ به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابِقُ مُقتضى الحال، أو يمكن القول عنه بشيء من التّفصيل بأنّه: "تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليُحتَرَزَ بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحالُ ذِكرَه"، كما يقول السّكاكيّ أحد أئمّة هذا الفن، وهذا العلم –أيّ علم المعاني– يبحث في أحوال اللفظ أو صياغته التي يكون فيها مُستجيبًا لمقتضى الحال، ومن الجدير بالذّكر أنّ علم النّحو وإن كان يدرس أحوال اللفظ من تنكير وتعريف وتقديم وتأخير وغير ذلك؛ فهو يدرسها من وجهة نظر مُغايرة لما عليه الأمر في علم المعاني؛ إذ إنّ النّحو يُبيّن جواز التّقديم وامتناعه ووجوبه، وجواز الحذف وامتناعه ووجوبه، ويتكلّم على التّعريف والتّنكير والتّأكيد وعدمه، ولكنّه لا يُعالجها من حيث تلبيتها للمطلب الفنّيّ الذي يقتضيه المقام وتستدعيه الحال، بل ذلك هو مهمّة علم المعاني.

مثال علم المعاني :

ولعل من هذا القبيل ما روي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ قوله سبحانه: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم}(المائدة/38) فاستنكر منه ختام الآية بصفة الرحمة والمغفرة، حتى تنبه القارئ إلى خطئه فأعاد القراءة على الصحيح :{ والسارق والسارقة ... والله عزيز حكيم} كما نزلت في كتابه الله، عند ذلك قال الأعرابي الآن: استقام المعنى .

فلا يستحسن في مقام العقوبة، وتهديد السارق بقطع يده، والأمر بذلك إن سرق إلا أن يقال(والله عزيز حكيم) حيث يوصف الرب سبحانه بالعزة، التي منها أن يأمر بما يشاء بمن يخالفه، ثم بالحكمة التي منها أن لا تزيد العقوبة عن مقدارها أو تنقص عنه، بل تكون مساوية للذنب ومقاربة . ومن هذا القبيل أن لا يتفاخر إنسان في مقام الاستجداء والسؤال، وأن لا يمدح من يشكو إلى من هو أكبر منه، ولا يضحك في مقام التعزية، وأن لا يعبس أو يقطب في خطبته أو كلامه أو شعره في مقام التهنئة.

ومباحث علم المعاني ثمانية يأتي بيانها فيما يأتي:

- أحوالُ الإسناد الخبريّي، أحوالُ المُسنَدِ إليه، أحوالُ المُسند، أحوالُ مُتعلّقات الفِعل، القَصر.
- الإنشاء،الفَصلُ والوَصلُ، الإيجازُ والإطنابُ والمُساواة.

علم البيان:

القسم الثاني من أقسام البلاغة العربية هو البيان، أو علم البيان، والبيانُ لغةً هو الكشفُ والإيضاح، فتقول العربُ فلانٌ أبيَنُ من فلان؛ أيّ أوضَحُ كلامًا، وفي المثل العربيّ يُقال: بان الصُّبحُ لِذِي عينَين، ويقول –تعالى– في مُحكَمِ التّنزيل} :هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ{،وأمّا في الاصطلاح فقد عرّفوا البيان بعد أن صار عِلمًا بقولهم: "هو عِلمٌ يُعرَفُ به إيراد المعنى الواحد بطُرُقٍ مُختلفةٍ في وضوح الدّلالة"، ويتبيّن من التّعريف أنّه ثمّة طرائق كثيرة للتّعبير في اللغة العربية، فهناك تعبيرٌ مباشَرٌ، وهناك تعبيرٌ بلاغيٌّ فنّيٌّ، وهو –أيّ التعبير البلاغيّ الفنّيّ– مادّة علم البيان، ومباحث علم البيان ثلاثةٌ يتفرّع من كلّ واحد منها عدّة مباحث تعود في النهاية إليه، ومباحث علم البيان هي :

- التّشبيه: يندرج تحته أركانه، وأقسامه بالنّظر إلى الأداة، وأقسامه بالنّظر إلى وجه الشّبه، وأنواعه وأغراضه ومحاسنه ومعايبه وإلى غير ذلك، وكلّه في النّهاية يصبّ في باب التّشبيه.

- الحقيقة والمجاز: ويندرج تحت هذا الباب تعريف الحقيقة والمجاز، ومن ثَمّ المجاز العقلي والمجاز اللغوي.
- الاستعارة: وفيها تعريف الاستعارة وأنواعها وأقسامها وخصائصها.
- الكناية : وفيه تعريف الكناية والفرق بينها وبين المجاز، ومن ثَمّ ركنا الكناية وأقسامها.

من أمثلة البيان القرآني :

ولقد قال الله سبحانه في كتابه: { ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) { الإسراء/31) وقال أيضاً في مقام آخر: { ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم } (الأنعام/151) فلما ذكر الخوف من الفقر مستقبلاً (خشية إملاق) ولم يذكر وقوعه فعلاً، قدم رزق الأولاد على آبائهم، من حيث إن الله سبحانه قد رزق الآباء حالياً، لكنهم يخشون الفقر إذا كثر أولادهم، ولما ذكر في الآية الأخرى وقوع الفقر)من إملاق) دعاهم إلى عدم قتل أولادهم، وقدم سبحانه رزقه لهم على رزق أولادهم، حيث يُخشى قتلهم أولادهم لقلة رزقهم الحالي .

ومثل هذا يعد من أرفع أنواع البيان الذي تميز به القرآن فيما خاطب به العرب من بني الإنسان.

علم البديع:

القسم الأخير من أقسام البلاغة في اللغة العربية هو علم البديع، ولفظ البديع في اللغة من بدَعَ الشّيء يُبدِعُهُ، وابتَدَعَه يعني أنشَأَهُ وبَدَأَهُ، والبديعُ هو الشّيء الذي يكون أوّلًا، وهو اسم من أسماء الله –تعالى– الحُسنى؛ وسُمّي بذلك لإبداعه الأشياء وإحداثِهِ إيّاها، حيث يقول –تعالى– في كتابه العزيز: { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} ثمّ صار اسم البديع يُطلَقُ على الفرع الثّالث من فروع البلاغة العربية، وفي القرون المتقدّمة لم يكن البديع علمًا مستقلًّا؛ إذ العرب كانت تطلق على العلم أحيانًا اسمًا من أسماء فروعه، كما فعل الجاحظ حينما وصف الاستعارة بأنّها: البديع حينما علّق على بيت من الشّعر يقول فيه صاحبه:

هُم ساعِدُ الدّهر الذي يُتّقى به وما خيرُ كفٍّ لا تنوءُ بساعِدِ

فقال الجاحظ: " قولُه: هم ساعدُ الدّهر إنّما هو مَثَلٌ، وهذا الذي تُسمّيه الرّواة البديع"، وعندما جاء ابن المُعتز جعل البديع خمسة أنواع وهي: الاستعارة، والجِناس، والمُطابقة، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها والمذهب الكلامي، ثمّ ما زال العدد بازدياد حتّى وصل عند قدامة بن جعفر إلى سبعة وعشرين نوعًا، وبلغ عند المُتأخّرين مئةً وخمسين نوعًا، وأما عن فائدته فيكفي أن نذكر قول

التهانوي في كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون)، إذ يقول: وأما منفعته فإظهار رونق الكلام، حتى يلج الآذان بغير إذن، ويتعلق بالقلب من غير كد، وإنما دونوا هذا العلم ، لأن الأصل وإن كان الحسنَ الذاتي، وكان المعاني والبيان مما لا يكفي في تحصيله، لكنهم اعتنوا بشأن الحُسْن العرضي أيضاً، لأن الحسناء إذا عَريت عن المزينات، ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع محاسنها، فيفوت التمتع بها.

وتتمثل مباحث هذا العلم في :

- **محسنات معنوية:** ويندرج تحت هذا المبحث أنواع عدّة هي:
  - الطّباق، المقابلة، حسن التّعليل، التّورية، المذهب الكلامي، المُزاوجة، المُشاكلة، مُراعاة النّظير، الإرصاد، حسن الابتداء، حسن الانتهاء، حسن التّخلّص، المبالغة، اللّفّ والنّشر، بتأكيد المدح بما يشبه الذم، وعكسه.تجاهل العارف.
- **محسنات لفظية** : ويندرج تحت هذا المبحث أنواع عدّة هي:
  - الجناس، ردّ العجز على الصّدر، السّجع، الموازنة، المماثلة،التسميط، لزوم ما لا يلزم، المواربة، الاقتباس، التّضمين.

وخلاصة الكلام هي أنّ علوم البلاغة جميعها تبحث في الجانب الجمالي لنظم الكلام وتأليفه، كما تعمل متضافرة لتحقيق غاية مثلى وهي : مراعاة المقال لمقتضى الحال بشرط اقترانه بالفصاحة. وهذا يعني أن المعاني والبيان والبديع لا بد أن تتوفر على عناصر أساسية هي التأثير والإقناع والحسن مع التقيد بسلامة اللفظ والتركيب.

إنّ لعلوم البلاغة أهمية واضحة، فعلم البيان يُمكّن الدارس من صياغة الألفاظ في قوالب متعدّدة، أمّا علم المعاني فإن دراسته تُعين الإنسان على معرفة والإفصاح عن أفكاره في ألفاظ واضحة، مطابقة الكلام لواقع الحال، ومناسبة المقال للمقام الذي قيل فيه، وقد قالت العرب قديمًا لكل مقام مقال، أما دارس علم البديع فيمكنه تَحسُّس الجمال اللفظي والمعنوي في الأساليب اللغوية، مع التنبه إلى أن علوم البلاغة لا تظهر ثمار دراستها دون أن يقرأ الدارس في كتب الأدب العربي، والتراث، وكتب اللغة، حتى يتشكّل بداخله الذوق الفنّي والحس البلاغي.